المحميات الطبيعية وأثرها في حماية التنوع الإحيائي في منطقة الاهوار

الدكتور
عباس عبد الحسين خضير
الجامعة المستنصرية - كلية التربية الأساسية

المقدمة

ان التدهور الذي زادت حدته خلال الآونة الأخيرة يعد من أخطر المشكلات البيئية التي صنعها الإنسان نتيجة لتعامله غير العقلاني مع بيئته وخاصة البيئات التي تتسم بنظم بيئية هشة ، تتميز بتوازن بيئي سريع العطب ، يمكن ان يختل تحت تأثير سوء الإدارة والاستغلال غير الرشيد للموارد الطبيعية من نبات طبيعي ومياه وتربة ، أن هذا الاختلال في التوازن البيئي الطبيعي يؤدي الى التدهور .

ومما لاشك فيه ان الاهوار لم تعد قادرة على تجديد مواردها الطبيعية واعادة التوازن للبيئة وللطبيعة عافيتها بعد تعدد العوامل والاسباب التي أدت الى حدوث خلل في التوازن البيئي وزيادة حدة التدهور البايولوجي وانقراض العديد من الكائنات الحية بمختلف انواعها ، ويشكل اقليم الاهوار بيئة طبيعية جغرافية فريدة بما تحتويه من موارد نباتية وحيوانية مختلفة يمكن ان تستثمر بطرق مختلفة وهي بحد ذاتها تشكل دعامة اقتصادية وطبيعية إذا ما تم الاستغلال الامثل لمثل هذه البيئات بكل جوانبها فانها وبلاشك تشكل انعطافه جديدة من نوعها لما تحتوي عليه من مميزات وصفات بيئية متنوعة ، ولهذا كله تعتبر منطقة الاهوار من المواقع التي تمتلك مقومات متنوعة طبيعية واقتصادية وثقافية وحضارية كما تمتلك هذه المنطقة بعداً تاريخياً وارثاً حضارياً موغلاً في القدم .

تعرضت منطقة الاهوار لأعمال التجفيف التي شكلت اكبر كارثة بيئية وغيرت معالم البيئة الطبيعية والتي كان لها تأثير كبير على قدرة الأنظمة البيئية في تحقيق التوازن البيئي والاخلال بالتنوع الحيوي ، كذلك أدت الى ظهور عدد من المشاكل البيئية الناتجة عن قلة الموارد المائية وارتفاع معدلات التلوث والتملح فيها بسبب النشاط البشري والاقتصادي .

وللمحافظة قدر الامكان على التنوع الحيوي لابد من اتباع طرق للحد من هذا الاستنزاف الحاد للموارد الطبيعية ، وتعد المحميات الطبيعية محاولة للمحافظة على البيئة الطبيعية والتنوع الاحيائي ، وذلك من خلال تحديد بعض المساحات من اراضي الاهوار لحمايتها وتطوير خصائصها لاستخدامها كمحمية طبيعية وعلى ضوء ذلك يمكن تحديد المشكلة بالتساؤل التالي :

ما مدى مساهمة المحميات الطبيعية في حماية وصيانة البيئة والمحافظة على التنوع الاحيائي في منطقة الاهوار؟

هدف البحث :

يهدف البحث توضيح الاثار والمتغيرات الناتجة عن تدمير البيئة الطبيعية للاهوار ومدى التدهور الذي يشهده التنوع الاحيائي لمنطقة الاهوار، كذلك يهدف البحث الى بيان دور المحميات الطبيعية باعتبارها احد المداخل لحماية التنوع الاحيائي في منطقة الاهوار كذلك التعرف على الاسس العلمية الصحيحة في تأسيس وادارة المحميات وطرق المحافظة عليها.

النظام البيئي للاهوار :

الاهوار هي عبارة من مسطحات مائية ضحلة تكونت خلال فترة زمنية طويلة وتعيش فيها النباتات المائية والحيوانية ، كما تشكل الاهوار احد مصادر الغذاء الهام من اسماك وطيور وحيوانات وتعيش فيها أيضاً نباتات مائية عديدة(١).

تطلق تسمية الاهوار والمستنقعات على مجموعة المسطحات المائية التي تغطي الاراضي المنخفضة الواقعة في جنوب السهل الرسوبي العراقي، وتكون على شكل مثلث تقع مدن العمارة والناصرية والبصرة على رؤسه وتتسع مساحة الاراضي المغطاة بالمياه وقت الفيضان أواخر الشتاء ، وخلال الربيع وتبلغ مساحة الاهوار حوالي ١٦٠٠٠ كم٢ على الرغم من تباين التقديرات بين ٩٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ كم٢ ، واطلق العرب الاوائل على هذه المناطق اسم (البطائح) جمع بطيحة لأن المياه تبطحت منها أي سالت واتسعت في الأرض ، والاهوار ظاهرة طبيعية تتنوع فيها الحياة المائية والبرية وهي خزان مائي للمياه العذبة وبيئية طبيعية فريدة ، كذلك تعد هذه المناطق تراث حضاري وينبوع للتنوع البايولوجي . خريطة(١) .

شكل (١) الاهوار في جنوبي العراق

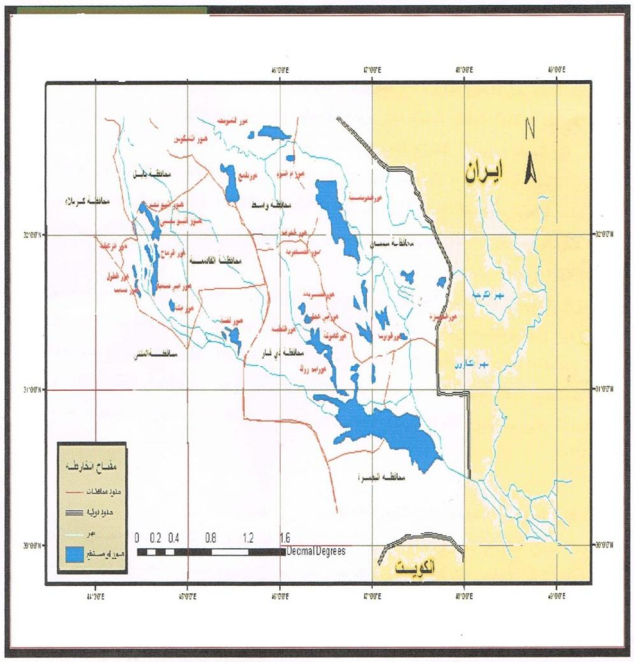

ندى شاكر جودت ، اقليم الاهوار غرب دجلة، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، مجلد ١، العدد ٥٣ ، ٢٠٠٨ ،ص ٢٢

ومنطقة الاهوار نظام بيئي مائي ترتبط موارده الطبيعية ، ونمط سكانه ، وطرازهم المعاشي بالماء سواء كانت دائمة او مؤقتة ، حيث تكونت في هذه المنطقة انظمة للحياة غير مألوفة لدى سكان المناطق الاخرى ، فانسان منطقة الاهوار يتصف بنمط اقتصادي واجتماعي وحضاري معين ، ونباتاته وحيواناته بخصائص حياتية متميزة ، ولاراضيه شخصية جغرافية فريدة ، وعلى الرغم من استقرار سكان هذه المنطقة الا ان قسما منهم لا يستقرون استقرارا دائما في مكان واحد ، ومنطقة الاهوار مصدر مهم لانتاج الالبان والاسماك والطيور ، وتعد محطة كبيرة للطيور المهاجرة . (٢)

تشكل الاهوار نظاما بيئيا متكاملا يعود تاريخه الى اكثر من ٥٠٠٠ سنة ، وهي احدى اكبر المناطق الرطبة في الشرق الاوسط ، وقد تعرضت المنطقة لاعمال التجفيف منذ بداية الثمانينيات من القرن الماضي والتي شكلت اكبر كارثة بيئية وغيرت معالم الطبيعة والحياة

مما ادى الى الاضرار بالتنوع الاحيائي القائم وتدهور النظام البيئي بشكل كبير .(٣)

مفهوم التنوع الحيوي

يقصد بالتنوع الحيوي المجموع الكلي من الكائنات الحية الصغيرة منها أو الكبيرة والذي يعيش على اليابس أو في داخل المياه ويشير التنوع الحيوي في العادة الى مستويات مختلفة ، تنوع النظم البيئية ، وتنوع الانواع المختلفة وأخيراً التنوع الوراثي داخل الانواع نفسها(٤). ويضم التنوع الحيوي جميع الكائنات الحية نباتية أو حيوانية الى جانب الكائنات الدقيقة وتمثل هذه الكائنات الحية جزءاً من الثروات والموارد الطبيعية على الارض فالتنوع الحيوي باختصار هو تنوع كافة اشكال الحياة على وجه الارض سواء كانت على اليابسة أو في باطن الارض أو في المياه ، ويوفر التنوع الحيوي للعالم ضمانة امكانية الحصول على امدادات متصلة من الاغذية ومن انواع لا حصر لها من المواد الخام التي يستخدمها الانسان في حياته اليومية ولبناء حاضره ومستقبله . ولا يشمل التنوع الحيوي الانواع الموجودة في محيط بيئي مائي أو على اليابسة في وحدة زمنية محددة فحسب بل يشمل النظم البيئية الوراثية التي جاءت منها هذه الانواع .

لايزال الانسان وعلى مر العصور يعمل دائما على استغلال الموارد الطبيعة ، الا ان استغلاله لهذه الموارد يتم في اغلبها بطرق عشوائية وخاطئة الامر الذي أدى الى الاضرار بالبيئة والاخلال بتوازنها بحيث اصبحت ضعيفة حيث لا تستطيع الوفاء بمتطلباته ، وعلى هذا الاساس فان النهوض بالبيئة من جديد لا يكون فقط بالقضاء على مصادر التلوث وانما العمل على تنمية مواردها وتحسين استخدام هذه الموارد(٥).

العقبات التي تعترض الحفاظ على التنوع الحيوي

يعد فقدان التنوع الحيوي واحدة من أكثر المشاكل البيئية والتي لها تأثر كبير على قدرة الانظمة البيئة في تحقيق التوازن البيئي وقد تعرضت انواع عديدة من الاحياء للانقراض والاختفاء نتيجة الضغط على الموارد الطبيعية والاستغلال الجائر لتلك الموارد وعدم المحافظة عليها وصيانتها ، كذلك ضعف الوعي بأهمية القيمة الجمالية للبيئة الطبيعة ادي الى استنزاف موارد الطبيعة الخلابة والاعتداء عليها وعدم صيانتها وحمايتها ، وهذا يدل على ان عمليات التنمية والاعمار غير المدروسة وفقاً للمقاييس التنموية العالمية يؤدي حتماً الى التأثير على التراث الطبيعي بما فيه من تكوينات

جيولوجية رائعة الجمال . كذلك من اشكال التهديد الحاصل على التنوع الحيوي هو تغير الموطن الطبيعي للعديد من الكائنات الحية أو اجبارها على ترك موطنها والانتقال الى بيئة جديدة بقصد أو بغير قصد من الانسان مما قد يسبب في تغير التوازن البيئي والذي قد يؤدي هلاك هذه الكائنات ، وهلاك الكائنات المستوطنة في الاصل تدمير النظام البيئي والتنوع الحيوي(٦).

وهناك العديد من المشاكل التي تعترض الحفاظ على التنوع الحيوي أهمها فيما يلي:

أهداف التنمية الوطنية لا تعطي قدراً أو قيمة للتنوع الحيوي .

ان الموارد الطبيعية الحية تستغل من اجل الفائدة والعائد لاناس خارج مناطق وجودها وليس الحاجة الملحة للمواطنين المحليين .

يوجد نقص ملموس في المصارف الخاصة بالانواع والنظم البيئة التي تعتمد عليها حياة الانسان ، وقصور في الثقافة البيئية والتربية البيئية .

عدم استغلال المعلومات العلمية وبناء على خطط مدروسة في حل وادارة المشكلات البيئية وادارة الموارد الطبيعية .

عدم وجود هيئات كفيلة باعمال الحماية وصيانة الموارد وان وجدت فهي فقيرة في التمويل وتوفير الكوادر البشرية والعينية(٧).

تدمير او تغيير بيئة الكائنات الحية ، فتجفيف الاهوار مثلا ادى الى فقدان اعداد متزايدة من الاحياء ذات القيمة الكبيرة مثل الجاموس وكلب الماء.

الاستغلال المفرط للموارد ادى الى انقراض انواع كبيرة من الاحياء .

التلوث البيئي من خلال فضلات الصرف الصحي والتلوث بالمبيدات الحشرية نجم عنه تأثير على التنوع الحيوي(٨) .

مفهوم التنوع الإحيائي

أن التنوع الآحيائي Biodiversity هو كل ما يتعلق بتنوع الكائنات الحية و بيئاتها . وهو مصطلح ذو دلالة تختص في دراسة الكائنات الحية و حمايتها و تنميتها و صيانة بيئتها . مثل هذه الصيانة تعتبر من اكبر التحديات التي تواجه البشرية ، و كل ذلك الاهتمام و البحث العلمي يقع في مجال صيانة البيئة . وهذا التنوع الإحيائي يشمل على ثلاثة مستويات رئيسة

١ـ التنوع الوراثي
٢ـ التنوع النوعي
٣ـ تنوع النظام البيئي .

أما التنوع النوعي فيقصد به تنوع الأنواع الاحيائية في وسط معين أو بين مجموع من الكائنات الحية . في حين يشمل تنوع النظام البيئي التكوينات الطبيعية كالصحاري و البحيرات والشعب المرجانية و كل ما يعيش عليها من الكائنات حية كما انه لا يقصر على كل ما هو حي من الكائنات بل يتعداها الى الموجودات غير الحية التي تساهم كعنصر بيئي مهم في حياة تلك الكائنات كما يتميز من حيث النوعية عن سواه من النظم البيئية الأخرى ، على أن النشاط البشري اليوم يؤثر بشكل رئيسيي في ضياع التنوع الأحيائي . اذ لا يخفى تأثيره من خلال استخدام الملوثات الكيمياوية والصيد الجائر للحيوانات سواء البحري منها أو البري و حتى ادخال ما هو غير مستوطن الى التجمعات البيئية ، مما يستوجب حماية النظام البيئي وسن التشريعات و القوانين لاستباق خطر وقوع الكوارث البيئية بالتنظم وتعزيز الحماية سواء بزراعة الغابات ومنع الاهدار العشوائي بالتنوعات الأحيائية أو ملاحقة التجاوزات على الحياة البيئية بمختلف الوسائل و الأدوات و انشاء المحميات و المتنزهات أسوة مما هو معمول به في عموم الدولة المنظمة(٩)

التنوع الاحيائي للاهوار قبل التجفيف

أولاً : البيئة النباتية

تكيفت العديد من اصناف النباتات للحياة في بيئة الاهوار وسط المستنقعات وشدة الحرارة و الرطوبة النسبية في فصل الصيف ، لهذا ترى اكبر التجمعات النباتية في العراق تضم انواع من النباتات المائية تعود الى عوائل و مجاميع نباتية متفرقة وان جمعيها منحدرة من نباتات اصلها بري ، الا ان من أهمها نبات القصب الذي يصل طوله احيانا الى (٢٥ قدم) الذي ما زال عنصرا اساسا للبناء عند سكان الأهوار الذي ينمو في المناطق العميقة لتغطي مساحات شاسعة تصل الى حد انها لا تترك سوى بعض الممرات الضيقة التي تشغل لحركة وسائط النقل المائي الصغيرة ، اما نبات البردي و الجولان فعادة ما ينتشر بالأطراف الخارجية للاهوار اذ يكون عمق المياه اقل مقارنة مع القصب

الذي يمثل ألاماكن العميقة فضلا ما يتمتع به نبات البردي من مقاومة افضل للملوحة و ان حاجته للاوكسجين اقل مما يحتاجه القصب ، و يمكن تقسيم نبتات منطقة الدراسة الى المجاميع الآتية:

١- النباتات المنبثقة البارزة

اذ يكون جزء من المجموع الخضري للنبات تحت سطح الماء و تكون هذه النباتات بصورة عامة كبيرة ومستقيمة مثل نباتي القصب والبردي ، ويحتل نبات البردي الاطراف الخارجية للاهوار اذ يكون عمق المياه اقل مقارنة مع القصب الذي يمثل الاماكن العميقة اذ ينمو في بداية كانون الثاني بظهور نباتاته الصغيرة الخضراء التي تشبه العشب وتسمى محليا بالحشيش ، ثم يستمر بالنمو الى شهر نيسان وحينئذ يسمى بالعنكر ويصلح كغذاء للابقار والجاموس لمدة ستة اشهر ثم يقوى القصب ويسمى بالعكة ، وبذلك يصبح جاهزا و مناسبة لأنتاج الحصران، اما نباتات القصب القديمة فتحرق قبل شهر كانون الثاني لاعطاء فرصة لنباتات القصب الشابة للنمو ، وينمو نبات القصب في ترب الأهوار التي تحتوي على المادة العضوية التي تساعد في نمو جذور القصب(١٠) ، و ليست كل مناطق الأهوار صالحة للاستفادة من القصب لصعوبة حصاده او نقله ، فهناك مناطق معينة من الأهوار تنحسر عنها المياه في فصل الصيف ، لاسيما في مناطق المنخفض في الجزء الجنوبي من هور الحويزة شمال منطقة السويب ، وفي المناطق المحيطة ببحيرة ام النعاج اذ تبلغ مساحتها حوالي (٢٦ كم٢) ، وفي هور الجبايش بمساحة بمقدر (٦٠ كم ٢) وأيضا في منطقة الكسارة شمال شرق العزير ، وتعد من المناطق المهمة من ناحية قربها من معمل ورق ميسان(١١).

٢ ـ النباتات الطافية

تكون ذات اوراق تطفو فوق سطح الماء ومعظم هذه الانواع ذات جذر مغروس في القاع ولكن قسما منها ذات جذور طافية تحت الماء ، وتظهر هذه النباتات في الاماكن التي يكون فيها الماء هادئا وتعد هذه النباتات بيئة غير مثالية لتكاثر الاسماك لانها لا توفر الحماية لبيوضها ، او صغارها ويتركز وجود هذه النباتات في الاجزاء الضحلة من مياه الأهوار مثل نباتات الكاط وعدس الماء والكوكلة .

٣ ـ النباتات الغاطسة

توجدهذه النباتات مغمورة كليا في الماء وتموت حال تعرضها للجفاف وتكون بشكل عام ذات جذور ممتدة في الطين ، ويتكاثر بطريقة انفصال بعض اجزائه ، او بطريقة البراعم التي تنفصل عن الام و قسما منها تكون طليقة مثل الشمبلان وزهير البط و لسان الثور(١٢).

٤ـ النباتات البرمائية او الارضية المتواجدة قرب المسطحات المائية

وتعد من الانواع الاراضية ولكنها توجد في الاماكن المنخفضة ذات التجمعات المائية الموسمية قرب الاهوار و في المناطق التي تظهر بعد انحسار المياه عنها ، وتنشر بعض هذه النباتات على حواف الاهوار مثل الجولان والطرفة وابو ذيل وغيرها(١٣) . وهناك أنواع اخرى من النباتات المائية الموجودة في الاهوار .

ثانياً : الثروة الحيوانية

يعتمد معظم سكان الاهوار على تربية الجاموس والابقار ،كذلك تعد مناطق الاهوار من المناطق الفريدة لاحتواءها على الموارد السمكية والطيور واللبائن ، وهذه تشكل مرتكزا اقتصاديا مهما كذلك تعد محطة كبيرة للطيور المهاجرة وقد ساعدت هذه العوامل مجتمعة على استمرارية وجود تنوع احيائي نباتي و حيواني مذهل و من بين هذه المجاميع الأحيائية صنف الطيور حيث يوجد في العراق حوالي ٤٠٠ نوع منها المهاجرة التي تأتي من مناطق بعيدة طلبا للغذاء والدف ومنها المقيم الذي يستقر في بيئته طيلة العام . و يشكل مجموع الطيور المائية التي تعتمد بصورة مباشرة في معيشتها على الماء حيث تكيفت لتلاءم المعيشة المائية حوالي ثلث أنواع الطيور العراقية . و تشكل الطيور المهاجرة الغالبية العظمى من الطيور المائية حيث يفد معظمها شتاء سالكاً خط سيبيريا وأوربا وتأتي الطيور مستفيدة من الحرارة المعتدلة وتوفر كميات وفيرة من الغذاء لقضاء الشتاء ثم العودة مع اطلالة الربيع الى مواطنها الشمالية البارة . وقد ضلت الطيور المائية في اهوار العراق تنعم بكل ميزات العراق الطبيعية الى وقت قريب .

تعدالاهوار في الجنوب من ابرز المناطق الجاذبة للطيور المهاجرة وان بعض انواع الطيور المهاجرة المهددة بالانقراض لم تعد تقصد الاهوار أو تصلها باعداد قليلة ، ومن

ابرز اسباب تناقص اعداد الطيور المهاجرة التي تقصد جنوب العراق وهي تقلص المساحات المغمورة بالمياه ، والتصحر، والصيد الجائر ، لذا فأن الحفاظ على الطيور المهاجرة وغير المهاجرة يتطلب انشاء محميات طبيعية في مناطق الاهوار للمحافظة على التوازن الاحيائي .

عمليات تجفيف الاهوار واثارها البيئية

١- مراحل تجفيف الاهوار

وفيما يلي أهم مراحل تجفيف الاهوار

١ـ المرحلة الاولى : تكتيف الانهار المغذية للاهوار في محافظة ميسان بانشاء سدود ترابية تتراوح اطوالها (٦ـ ١٨ كم) لكل سدة على جانبي الانهار الرئيسة التي تغذى الاهوار الوسطى وهي نهر الوادية ،نهر العدل ، نهر الكفاخ ، نهر الشرمخية ، نهر مسبح ، نهر هدام و نهر ام جدى ، انجزت العملية تماما في شهر تموز ١٩٩٢ م .

٢ـ المرحلة الثانية : انشاء سدتين ترابيتين تقطعان نهايات جميع الانهار و الروافد و الجداول المتجهة الى الاهوار الوسطى قبيل وصولها اليه وجمع مياهها في المجرى الحاصل بينما أنجزت العملية اواخر شهر ايلول ١٩٩٢ م .

٣- **المرحلة الثالثة** : تحويل مياه نهر الفرات الى المصب العام أي من موقع الفضلية على بعد خمسة كيلو مترات شرق مدينة الناصرية الى مجرى المصب العام و من المعلوم ان مجرى المصب العام يصب في خور عبد الله شمال البصرة ، اذ جعل مجرى المصب العام ليصبح مبزلا لسحب مياه هور الحمار انجزت العملية في بداية تموز عام ١٩٩٢ م .

٤- **المرحلة الرابعة** : تكتيف نهر الفرات في محافظة ذي قار و محافظة البصرة . بانشاء سدة ترابية بمحاذاة الفرات من جهته الجنوبية (الضفة اليمنى) . بين مدينتي المدينة ، والناصرية مرورا بالجبايش ، لمنع مياه الفرات من التسرب جنوبا نحو هور الحمار. خارطة (٢) .

شكل (٢) مراحل التجفيف في منطقة الاهوار جنوب العراق

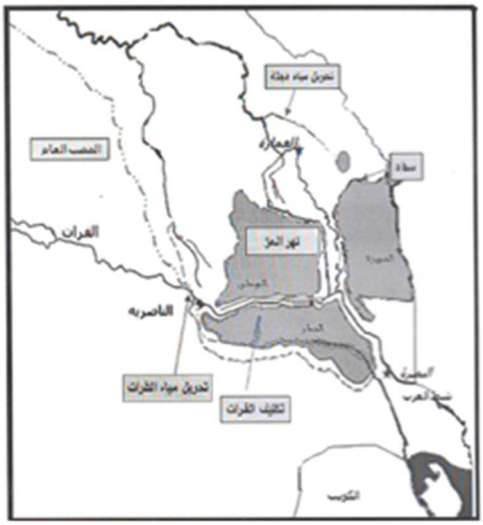

المصدر – الهيئة العامة للمساحة ،سنة ٢٠٠٦

الاثار البيئية لتجفيف الاهوار

لقد تعرضت اهوار جنوب العراق لمتغيرات متعددة أثرت في نظامها البيئي ، فقد كانت الاهوار تؤدي دوراً بارزاً في عملية التوازن البيئي إذا كانت للمناطق المغمورة بالمياه دورا بارزا في الحفاظ على درجات الحرارة المتوازنة ، وتحولت بعد التجفيف الى بيئة جافة مرتفعة الحرارة فبرزت ظاهرة التصحر ، وارتفعت نسب الغبار في منطقة الاهوار بعد التجفيف وازدادت العواصف الترابية ، كما ارتفعت نسبة الملوحة(١٤). وبالتالي تأثيرها على النظام البيئي.

وأثرت عملية تجفيف الاهوار في البيئة النباتية والحيوانية ، فهو احد الاسباب الرئيسية لخسارة التنوع البيولوجي ، إذ تغيرت نوعية الغذاء النباتي فقد اختفت مجمعات نباتية وظهرت مجتمعات نباتية جديدة ، تلاءمت مع البيئة الصحراوية الجديدة واصيبت بساتين النخيل التي كانت تشتهر بها المنطقة بالامراض الكثيرة التي أدت هلاك مساحات شاسعة منها اضافة الى ظهور اصابات في حشرة الارضة في بساتين النخيل ، اما الحياة الحيوانية فقد أدى التجفيف الى انقراض لا حصر لها من الحيوانات والاسماك والطيور اذ كان هناك ما يقارب (٢٧٨) نوعاً من الانواع النادرة التي كانت تعد الاهوار مكاناً رئيسياً لها وانقرضت انواع نادرة من الحيوانات التي لا يوجد لها مثيل في أي بيئة مائية اخرى مثل كلب الماء الذي تناقصت اعداده واضمحلت بسبب تجفيف الاهوار والتلوث

البيئي ، والصيد الجائر وفي عام 2005 ادرج كلب الماء ضمن اللبائن المحمية في مشروع الاهوار الوسطى ، اما بالنسبة للجاموس فقد تعرضت للموت بسبب شحة وجفاف المياه وعدم امكانية الخروج من المستنقعات الطينية . كذلك تعد الاهوار جزءا لا يتجزأ عن طريق عبور الطيور المهاجرة ما بين القارات ، والتي تعرضت الى الهجرة وتحويل مساراتها بحثا عن موطن اخر (١٥). كذلك فان خطر التصحر قد لاح في الافق متمثلا في اختفاء المسطحات المائية ، واختفاء الغطاء النباتي ، فضلا عن هجرة سكان هذه المناطق الى مناطق اخرى (انظر شكل (٣).

المحميات الطبيعية والتوازن البيئي

تساهم المحميات الطبيعية (The natural esters) في الاستقرار البيئي لتأثيرها في العمليات الايكولوجية للحفاظ على التنوع الاحيائي والمصادر الوراثية التي تعتمد عليها المكونات الحياتية لتلك المحميات ، مما تساهم في العملية الانتاجية للانظمة البيئة في تكوين مناطق تساعد أمتداداتها المكانية في تطوير ما يحيطها سواء في البيئية الحية أو غير الحية ، والتنوع الاحيائي Biodiversity هو كل ما يتعلق بتنوع الكائنات الحية وبيئاتها وهو مصطلح ذو دلالة تختص في دراسة الكائنات الحية وحمايتها وتنميتها وصيانة بيئتها . مثل هذه الصيانة تعتبر من اكبر التحديات التي تواجه البشرية ، وكل ذلك الاهتمام والبحث العلمي يقع في مجال صيانة البيئة ، وتمارس المحميات الطبيعية دوراً مهماً في

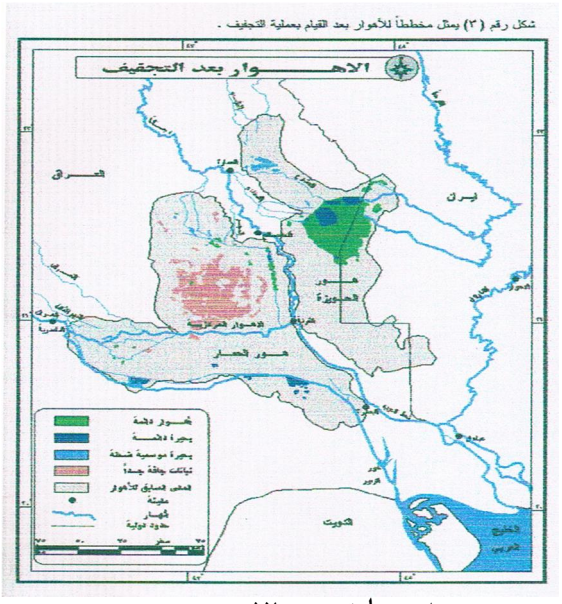

شكل رقم (٣) يمثل مخططاً للأهوار بعد القيام بعملية التجفيف .

المصدر: ندى شاكر جودت، مصدر سابق، ص١٢.

حماية الطبيعة التي ظهرت بعد ان وجدت المنظمات البيئية الكثير من انواع الحيوانات والنباتات التي ساهم الانسان في انقراضها ، والمحميات الطبيعية تعرف بانها "مناطق ذات ابعاد جغرافية تفرض عليها الحماية بموجب قوانين خاصة بهدف حماية محتواها من حيوانات ، وطيور، ونباتات ، وكافة اشكال الحياة فيها وذلك من خلال تدخل الانسان في هذه البيئة بهدف تطوير مواردها وصيانتها (١٦).

ويشكل اقليم الاهوار بيئة طبيعية وجغرافية فريدة لكا تحتويه من موارد نباتية وحيوانية مختلفة يمكن ان تستثمر بطرق مختلفة وهي بحد ذاتها تشكل دعامة اقتصادية وطنية اذا ما تم الاستغلال الامثل لمثل هذه البيئات بكل جوانبها فانها وبلا شك تشكل انعطافة جديدة من نوعها لما تحتوي عليه من مميزات وصفات بيئية . (١٧).

مفهوم المحميات الطبيعية

تعرف "المحمية بانها مساحة من الارض تخصص بواسطة القانون لحماية المصادر الطبيعية التي تشمل المصادر الحيوية من مجتمعات نباتية وحيوانية ، كما تعد وسيلة لانقاذ انواع من الحيوانات النادرة من الانقراض لقيمتها الوراثية والتي لها مردود اقتصادي" ..كما تعرف المحمية "بانها مساحة من الارض أو المياه تتميز بما تضمه من كائنات حية نباتية أو حيوانية أو ظواهر طبيعية ذا قيمة ثقافية أو علمية أو سياحية أو جمالية" . (١٨) وهذا التوصيف للمحمية يتضمن مايلي :-

١. أن المناطق التي يتم تخصيصها أو تحديدها هي للمحافظة ولحماية التراث الطبيعي بكافة اشكاله .
٢. توفير كل انواع الحماية لكل الاحياء الحيوانية والنباتية في تلك المنطقة التي تتم تحديدها كمحمية طبيعية .
٣. حظر القيام بأي اعمال أو تصرفات أو انشطة أو اجراءات من شأنها تدمير أو اتلاف البيئة الطبيعية أو الافراد بالحياة البرية أو المساس بمستواها الجمالي .
٤. صيد أو نقل أو قتل الكائنات البرية او المائية أو القيام بأعمال من شأنها القضاء عليها.
٥. تلويث تربة أو مياه أو هواء المحمية بأي شكل من الاشكال .

٦. يحظر اقامة المباني او المنشآت أو شق الطريق أو تسيير المركبات أو ممارسة أنشطة زراعية أو صناعية أو تجارية في منطقة المحمية (١٩).

أهداف انشاء المحميات الطبيعية :-

أن المحميات لا تعنى بالضرورة امكنة مغلقة وممنوعة انما هدفها منع اذى الانسان عن المناظر والمكونات الطبيعية النادرة مع الحفاظ على التوازن بين الممارسات التقليدية والابقاء على ميزة المواقع . أن احد الدوافع الرئيسية لانشاء المحميات يمكن في محاولة تغيير وتبديل سلوك الانسان السلبي تجاه الطبيعة وتغيير نظرته ورؤيته للجمال الطبيعي والاحساس به والتعايش معه في تناغم ووفاق وان تكون تصرفاته نحو البيئة واستغلالها بصورة مثلى عقلانية بما لا يحدث خلل في التوازن البيئي الذي يؤثر سلباً على بقاء الانسان نفسه (٢٠). وتكمن اهداف انشاء المحميات الطبيعية في المحافظة على التنوع الاحيائي في منطقة الاهوار من خلال حماية الاحياء والانظمة الاحيائية ، من خلال ما يلي :-

١. الحفاظ على مناطق تحتوي على انواع من الكائنات الحية سواء اكانت نباتية أو حيوانية أو تكوينات اتربة أو تراكيب جيولوجية نادرة وصيانة الموارد الحية .
٢. حماية الانواع الاحيائية المهددة بالانقراض والعمل على تزايد اعدادها وتكاثرها في بيئة طبيعية ملائمة وبما تحقق صيانة التنوع الوراثي من خلال الحماية البيئية للانواع المقيمة والمهاجرة .
٣. المحافظة على اماكن تحتوي على موارد طبيعية يستلزم تنظيم عملية استغلالها وترشيد استهلاك الموارد الطبيعية والمحافظة عليها .
٤. المحافظة على مناطق ذات طبيعة جمالية وتكوينات رسوبية ذات جمال خاص وبذلك تمثل المحميات الطبيعية العمود الفقري لكل برامج صون البيئة وحمايتها(٢١).

أسس اختيار إقامة المحميات الطبيعية :-

أن تأسيس وادارة المحميات الطبيعية يعد من اهم طرق المحافظة على المصادر الطبيعية وتعد المحافظة عليها واستمرارها سواء كانت محمية حيوانية أو طبيعية أو نباتية لابد أن تعتمد على معايير محددة ومن اهمها ما يلي :-

١. حماية الانواع النادرة والمهددة بالانقراض .
٢. ضرورة التنوع البايولوجي الحيوي المتميز (٢٢).
٣. وجود مناطق طبيعية ذات طابع مميز .
٤. اهمية الكائنات التي تعيش فيها كمصادر وراثية .
٥. امكانية الاستغلال السياحي البيئي للموقع .
٦. امكانية تقديم مصادر دخل للسكان المحليين من دون تعريض مكونات الموقع لخطر التدهور والانقراض (٢٣)

دور المحميات الطبيعية في التنمية المستدامة

ان تحقيق الادارة البيئية الراشدة يعتبر ضرورة ملحة في الجهود المبذولة لحماية البيئة الطبيعية من ناحية ، وتحقيق التنمية المستدامة من ناحية اخرى ،وتساهم المحميات الطبيعية في التنمية بالطرق التالية :-

١- المحافظة على استقرار البيئة التي تمثلها الاهوار .
٢- ضمان الانتاج واستمرار التوازن البيئي .
٣- توفير الفرص للبحث العلمي ومتابعة الاحياء المائية والنظم البيئية .
٤- توفير الفرصة لاحداث واستمرار التنمية في مناطق الاهوار والاستغلال الامثل لهذه المناطق.(٢٤)

إستخدام الاهوار كمحميات طبيعية

ان معظم النظم الايكولوجية في منطقة الاهوار نظم هشة تحتاج بالضرورة الى التدخل بايجابية لرعاية هذه النظم والعناية بها ، فهي نظم سريعة التأثر بأي ضغط استخدامي حتى ولو كان محدوداً لا شك ان مثل هذه النظم الايكولوجية الهشة تحتاج بالضرورة الى رعاية وعناية خاصتين لضمان حسن استغلال قدراتها والمحافظة عليها دون تدهور أو استنزاف بما يكفل صيانتها واستمراريتها .

وعلى ضوء ذلك يمكن جعل اقليم الاهوار محمية طبيعية نادرة اذا بادر الانسان الى اتباع الطرق العلمية في تعامله مع البيئة للحفاظ عليها واستثمارها بدون الاخلال بالتوازن البيئي والحفاظ على مستوى معين من المياه لتغذية الاهوار لحماية الحياة النباتية والحيوانية والعمل على تجديد الموارد باستمرار ، وتعتبر مناطق الاهوار تراث حضاري

وينبوع للتنوع البايولوجي وتحتوي العديد من الحيوانات والنباتات النادرة وتعتبر تلك المناطق متاحف مفتوحة للحياة البرية والمائية وتكمن اهمية المحميات في الجوانب الاتية :-

١. انها تعد بمثابة عملية تنموية شاملة ترتبط بالانسان وعلاقته بالبيئة وضرورة التفاعل والتأثر فيما بينها بايجابية من اجل حياة بيئة سليمة .
٢- تتمتع مناطق المحميات بقيم جمالية مختلفة فالبعض منها يقع في مناطق تتوفر فيها المياه والخضرة والاخرى تتميز في تنوع الطيور والاسماك والجزر الخضراء العائمة فوق المياه واضافة الى ما تتمتع به مناطق الاهوار من طبيعة خلابة كل هذا يجعل المنطقة فريدة في بيئتها وتمثل مرتكزاً اساسياً للتنمية السياحية وتطويرها (٢٥)
٣- أن المحمية الطبيعية تشكل ينبوعاً علمياً متنوعا يمكن الباحثين والعلماء من اجراء عدة دراسات هدفها تطوير الموارد الطبيعية في المنطقة سواء كانت حيوانية أو نباتية ودعمها ورعايتها
٤- تمثل المحميات بيئات متنوعة لها مكانتها في حياة ساكنيها اذ يعد موطن اسلافهم وفيها مصادر حياتهم لاسيما وان المحمية تمثل معرضاً بيئياً يدعو إلى غرس القيم والعادات التي تمسك بها سكانها عبر الزمن والتي توضح مدى تعلقهم بالبيئة .

وتسعى وزارة البيئة والحكومات المحلية في محافظات الجنوب بإدخال الاهوار ضمن المحميات الطبيعية الدولية بالاتفاق مع منظمة اليونسكو ومنظمات عالمية اخرى من منطلق ان البيئة الطبيعية للاهوار ميراث البشرية ورصيدها الذي ينبغي صيانته والمحافضة عليه.(٢٦)

الاستنتاجات والتوصيات

ان فقدان التنوع الحيوي له تأثير كبير على قدرة الأنظمة البيئية في تحقيق التوازن البيئي لذا فان تأسيس وادارة المحميات الطبيعية في منطقة الاهوار يعد من اهم طرق المحافظة على التنوع الاحيائي، ومن خلال الدراسة تبين صعوبة اعادة غمر كل اراضي الاهوار المجففة بسبب قلة الوارد المائي وكذلك ارتفاع نسبة الملوحة والتلوث المائي ، وهذا يتطلب سياسة مائية مع سلسلة من المشاريع والسدود على حوض دجلة والفرات، ورغم إدراكنا العميق بصعوبة المرحلة التي نمر بها الا ان هذا لايمنعنا من

التواصل لحماية هذه النظم البيئية وتوصيل أصواتنا الى الجهات الرسمية لكي تدعمها وتعيد إليها حيويتها ، ولأهمية الاهوار توصي الدراسة بما يلي

١. ربط الاهوار بمصادر المياه واعادة فتح البوابات التي كانت تغذي الاهوار وبناء واعادة تصميم نواظم السيطرة الرئيسية على نهر دجلة والفرات التي توجه المياه الى الاهوار ، وتنظيم عملية تغذية الاهوار .
٢. وضع خطط دقيقة واستراتيجية لدراسة الظروف البيئية والقيام بمسح مفصل ومتكامل للموارد الطبيعية والحيوانية ، وتطوير وتحديث شبكات مراقبة المحطات المائية بنصب محطات مراقبة قادرة على جمع المعلومات ومراقبة المحطات المائية في المنطقة .
٣. وضع استراتيجية متكاملة للحفاظ على التنوع الحيوي وتوفير قاعدة بيانات متكاملة لمختلف الكائنات الحية في الاهوار ومتابعة التغيرات الحاصلة فيها والوقوف على اسبابها ، وتهيأت منظومة مراقبة بيئية لمختلف مؤسسات الدولة من اجل ديمومة التنوع الاحيائي .
٤. العمل على انشاء المحميات الطبيعية وفق سياسة واهداف محددة تتبناها مؤسسات حكومية على اعلى مستوى ، هذه السياسات والاهداف تشمل الحفاظ على انتاجية الموارد واعادة تكوين مخزونها والحفاظ على التباين في الموارد الطبيعية .
٥. يجب انتخاب فريق لتخطيط عملية اختيار المحميات على اساس علمي واجراء مسوح شاملة بقدر المستطاع للتعرف على المواقع التي تستحق الحماية في منطقة الاهوار.
٦. ضرورة تبني مشروعات بيئية للمحافظة على هذه الموارد وصيانتها لضمان استمرار عطائها ، وان لا تتعدى طبيعة المشروعات التنموية المعتمدة وحجمها الحمولة المتواضعة لهذه الموارد الهشة .
٧. اعداد كوادر متخصصة في ادارة المحميات عن طريق اقامة الدورات والندوات العلمية والفنية المختلفة والاستفادة من خبرات الدول المتقدمة .

المصادر والهوامش البحث

١. سامح غرايبة ، يحيى الفرحان ، المدخل الى العلوم البيئية ، دار الشروق ، رام الله ، ٢٠٠٠ ، ص١٥٧ .

٢. عباس فاضل السعدي ، جغرافية العراق ن جامعة بغداد ، بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص٢٩٨ .
٣. اقبال عبد الحسين أبو جري ، الآثار البيئية لتجفيف الاهوار ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية – ابن رشد ، ٢٠٠٧ ، ص٦ .
٤. عادل الشيخ حسين ، البيئة ومشكلات وحلول ، عمان ، الاردن ، ٢٠٠٩ ، ص٤١ .
٥. فتحية محمد الحسن ، مشكلات البيئة ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٠ ، ص٦٢.
٦. فتحية محمد الحسن ، المصدر نفسه ، ص٦٧ .
٧. يسرى دعبس ، المحميات الطبيعية والتوازن البيئي ، البيطاش للنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ١٩٩٩ ، ص١٣ .
٨. وزارة البيئة ، دائرة بيئة بغداد ، شعبة التنوع الاحيائي، الواقع البيئي للتنوع الاحيائي ، بحوث غير منشورة ، ٢٠٠٦ ، ص٣
٩. أقبال عبد الحسين ابو جري ، مصدر سابق ، ص٥٩ .
١٠. شاكر مصطفى سليم ، الجبايش دراسة انثربولوجية لقرية في اهوار العراق ، الجزء الثاني ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٣٦ ، ص٣١٤-٣١٥ .
١١. وزارة الصناعة ، الهيئة العامة للمسح الجيولوجي ، تقرير عن نتائج مسح القصب في هور الحويزة والجبايش بواسطة تحليل الصور الفضائية ، اعداد حافظ محمود المهيدي وسامي شبانة ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص١-٣ .
١٢. حسين علي السعد وعبد الرضا المياح ، النباتات المائية في العراق ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامع البصرة ، ١٩٨٣ ، ص٢٥-٢٨ .
١٣. المصدر نفسه ، ص٢٩-٣٠ .
١٤. عدي بجاي شبيب ، هور الحمار – دراسة انثروبولوجيا ، دراسة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ٢٠٠٧ ، ص١٨ .
١٥. اقبال عبد الحسين جري ، مصدر سابق ، ص٧٥ .
١٦. وزارة البيئة ، دائرة بيئة بغداد ، مصدر سايق ، ص ٦ .
١٧. ندى شاكر جودت ، اقليم الاهوار غرب دجلة ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، المجلد الاول ، العدد ٥٣ ، سنة ٢٠٠٨ ، ص٣١ .
١٨. وزارة البيئة ، دائرة بيئة بغداد ، شعبة مراقبة التنوع الاحيائي ، دراسة حول تطوير المحميات والغابات ، دراسة غير منشورة ، ٢٠١٢ ، ص٤ .

١٩. يسرى دعبس ، مصدر سابق ، ص٢٠ .
٢٠. فتحية محمد الحسن ، مصدر سابق ، ص٩٦ .
٢١. يسرى دعبس ، مصدر سابق ، ص٢٠ .
٢٢. وزارة البيئة ، مديرية بيئة بغداد ، مصدر سابق ، ص٨ .
٢٣. يسرى دعبس ، مصدر سابق ، ص٢٦ .
٢٤. وزارة البيئة ، مديرية بيئة بغداد ، مصدر سابق، ص ٩ .
٢٥. ندى شاكر جودت ، مصدر سابق، ص٢٣ .
٢٦. نهلة محمد رضا ، وزارة البيئة ، الاهوار العراقية في مرحلة الادراج على قائمة التراث العالمي ، بحوث وتقارير غير منشورة ، ٢٠١٢ ، ص ٢ .